إضاءة

خلال أربعة عقود تقريباً، استطاع الباحث الفرنسي تأسيس «نهج» يقوم على انتقاء أحداث من مشهد معقّد وربطها، بشكل آلي، بالصراع الدائم بين الغرب والإسلام، وهذه الوصفة الجاهزة حوّلته نجماً يجري إشهار كتبه في شوارع فرنسا كما يحدث عادة مع صوَر المشاهير

نجم الدين خلف الله

جيل كيبل باحثٌ فرنسي مُلِمٌّ بموضوعه، واحد أبرز الأسماء، في فرنسا، في مجال الدراسات الجيوسياسيّة الخاصّة بالعالم العربيّ، منذ أربعة عقود تقريباً. وفي ماضيه العلميّ أكثر من ثلاثين كتاباً، دأبَ على نَشرها بانتظام كبير، حلّل من خلالها أهمّ ما طرأ على المشهد السياسي العربي - الإسلامي وتبعات الأحداث إقليميّاً وعالميّاً. آخرُ ما أصدره كتابان: «الخروج من الفوضى» (2018)، في وصف مُخرَجات الربيع العربي، ونَفْسُه فيها سَلبيّ، و«النبي والجائحة» (2021).

وقد حَظي هذا الكتابُ الأخير بتغطية إعلاميّة لافتة، جَعلتْ من كيبل «نجماً» من نجوم البَحث، والميديا قبل ذلك، تُعرض صورُهُ، بالحَجم الكبير، في بعض شوارع العاصمة الفرنسيّة، كما تُعرض صور نجوم السينما والسياسة ولوحات الإشهار. فما الذي جَعله يحتلّ هذه المكانة حتّى كاد أن يصبح ظاهرة مرئيّة، تملأ المشهدَ الإعلاميّ والثقافيّ؟

إنّ المُطّلع على أعمال الرّجل، منذ بداياته مع «ضواحي الإسلام» (1987) و«ثأر الله: مسيحيون ويهود ومسلمون لغزو العالَم» (1991)، مروراً بقائمة أعماله التي أصْدرها إبّان العشريّة المُنصرمة، مثل «شغَف عربيّ» (2013)، و«شغَف فرنسيّ» (2014) و«مَنْ هو داعش؟ (2016)، وصولاً إلى «الخروج من الفوضى» (2018) وغيرها، يرى أنّ الرجل لا يفعل سوى التعليق على أهمّ الأحداث التي تَهزّ الوطن العربيّ والعالَم الإسلاميّ، ويَربطها بما يجري في العالَم، جاعلاً من التحوّلات الكُبرى التي تهزّه مجرّد تنويع على علاقات التضادّ والمواجهة بين الغرب والإسلام، فنَظّر لها وضخّمها في تحاليله، جرياً على مقولات صمويل هنتنغتون.

وفي الحقيقة، ما يَعرضه جيل كيبل، رغم جدّيته، لا يَعدو ما هو متداولٌ في قنواتنا العربية من العروض والتأويلات. بل إنّنا لو نَزعنا عنه الدِّقّ الضياغة الأسلوبيّة الماهرة وبعض الترابطات بين الظواهر السوسيولوجيّة التي يُظهرها بحرفته في الكتابة، لَما وجدنا تفكيكاً معمّقاً لما يجري في ساحتنا من الأحداث، ولا تعليلاً جادّاً لما يُحركها من البواعث البعيدة، التي تحكم تحدّيات «القرية الكونيّة» وصراعاتها.

وثمّة ظاهرة ثانية لديه، مع أنّها لم تكن مألوفة عند الأجيال الأولى من المستعربين الفرنسيين، وهي اختيار عناوين شديدة الإثارة، تقع على حدود التجديف بالنسبة إلى القارئ المُسلم، وتُحرّكُها، بالطّبع، أهدافٌ تجاريّة بَحتة، يُراد منها أن تجلب انتباه الجمهور وأن تَدفعه إلى السؤال عن محتوى الكتاب، فإذا فتّشه لم يَجدْ أيّة علاقة مباشرة بين موضوعه والعنوان، ولا أنّه يُعبّر عن حقائق علميّة، بل عن نزوات خيالٍ وتضخيم وجدان. ومن أمثلة ذلك عناوين: «في غَرْب الله» (1994)، و«فتنة: حربٌ في قلب الإسلام» (2002)، وأخيرًا «رُعبٌ في فرنسا» (2015)، وهي عناوين أقرب إلى أسماء أشرطة هوليوديّة منها إلى أبحاثٍ موضوعيّة معمّقة.

مثلُ ثانٍ، أقرب زمنيّاً، وهو عنوان كتابه الأخير: «النّبي والجائحة: من الشرق الأوسط إلى الجهادية كمناخ» (2021) الذي خُصّص لبحث تداعيات جائحة كورونا على سوق النّفط وتحوّلات الشرق الأوسط وتأثيرها في ضواحي العواصم الأوروبيّة من خلال ما استجدّ من اعتداءات إرهابيّة، كما لاستعراض نتائج تطبيع أربع دول عربيّة مع إسرائيل، وذكر بعض الأعمال الإرهابية التي ارتُكبت في فرنسا، دفاعاً، برأي أصحابها، عن نبيّ الإسلام. وهذا مَكمن الضّعف والتسرّع. فهل عمل إرهابيّ شيشاني معزول، لَمْ يتجاوزْ الثامنة عشرة من عمره، عاكسَ لمُنحى مليار مسلم؟ ومتى كان عملُه الفرديّ هذا، والذي أدانه مسلمو العالم قاطبةً، مرآةً لأيّ تحول جيوسياسي؟ ثمّ لماذا هذا الربط الآلي بينه وبين نبي الإسلام، إن لم يكن في هذه الرغبة الجامحة المشبوهة في الإثارة أكثر من أجل البَيع أكثر؟

وهكذا، تُسير سائر كتبه على هذا الهيكل الفكريّ الذي يكاد يكون مرسوماً سلفاً، فلا يحيد عنه: استغلالٌ لبعض الأحداث وانتقاءٌ تامّ للفئات العريضة منهم، داخل فرنسا وخارجها، ممن يعيشون في سَلام، مع ذواتهم ومع مُجتمعهم. بمثل هذه الأعمال العاقمة، ذات الأسلوب السردي، خَلق كيبل «مَدرسة» تسود اليوم في فرنسا، موضوعها المحبّذ التحوّلات الجيوسياسيّة في العالم الإسلاميّ وعلاقاتها بأوروبا عبر الوصف الخاطف، والاستعراض الخطّي لما يَحدث، من دون الغوص في الأعماق المحرّكة لها، ما يوقعه غالباً في نُبوءات خاطئة، سرعان ما تكذّبها الأحداث اللاحقة، كما حصل مع كتابه «الجهادية: كسوف الإسلام الجهادي» (2000)، إذ ما هي إلا أيام بعد صدوره، حتى اهتزّت أبراج نيويورك باعتداءات سبتمبر، واستمرّت نظيراتها إلى أيّامنا.

من الناحية المنهجيّة، تنتمي جلّ هذه الأعمال إلى الأبحاث السوسيولوجية الميدانيّة، أو هذا ما تدّعيه، وتستمدّ مادّتها من مراقبة ما يجري في ضواحي باريس. الميدان المُفضّل لدى كيبل. ولا سيّما الفئات المسلمة فيه، ثم ربط تموّجات تلك الضواحي بنزاعاتٍ تتأجّج في عواصم الشرق الأوسط والأقصى، من فلسطين إلى أفغانستان. ولكن، هل هي فعلاً أبحاثٌ مُحقّقة؟ نشكّ في ذلك. فرَغم الكساء العلميّ الذي ترتديه، لا تعدو، في غالبها، أن تكون تكرارَ أفكار مألوفة، عن ظواهر بديهيّة، استنفدت دراستها. وهكذا، فالمنهج الضعيف لا يُحيل على حقائق علميّة مدعومة بإحصاءات بقدر ما هي ملاحظات تتّصل أحياناً بظواهر لا معنى لها، كتعجّبه من ارتداء شباب الضواحي آخر صيحات الأحذية الرياضيّة، مع الحفاظ على الجلباب الأبيض والنّقاب.

بمثل هذه الملاحظات الإثارية أسّس كيبل «نهج» التعليق السطحي على الوقائع الجيوسياسيّة وعَرْضها مادّةً للاستهلاك، يستمع إليها الفرنسي العادي في غمرة ما يُغرقه من أخبار الداخل وأسواق البورصة وتقلّبات الموضة.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

جيل كيبل هوَس فرنسي اسمه العرب والإسلام

# بحث بأدواتٍ هوليوودية

جيل كيبل في مدينة مانتوفا الإيطالية، سبتمبر 2019 (Getty)

خلق مدرسة موضوعها المحبّذ التحوّلات العربية والإسلامية

تَسير كتبه على هيكل فكريّ يكاد يكون مرسوماً سلفاً

لها من جملة مشهد معقّد، يَعمل على سرده وربطه آليّاً بالصراع الدائم بين الغرب والإسلام، وكأنّه المحرّك الوحيد لسيرورة التاريخ. ثم تأثير ذلك في الضواحي الأوروبية. ولعلّه من خلال أسلوب الإثارة هذا يكون كيبل قد أسهم في خلق مُتخيّل عن الإسلام وعن مسلمي فرنسا وأبنائهم، يُبالغ في وصف انشطتهم المروّعة، مع إغفالٍ

مادّة للاستهلاك

بعناوين تتوسّل الإثارة (كما في كتابه الأخير، «النبي والجائحة») وتعليقات سطحية على الوقائع الجيوسياسية، استطاع جيل كيبل تأسيس «مدرسة» يستهلك الفرنسيُّ العادي مادّتها في غمرة ما يُغرقه من إخبار الداخل والبورصة والموضة. تُقدّم تلك التعليقات بوصفها تحاليل عالمة تنتمي الى علوم السياسة والبحث الاجتماعي، لكنّ ما هي، في الحقيقة، الّا بادئ راي يحتاج الى تعمُّق ومساءلات نقديّة وغوص في الاسباب البعيدة.

قصائد

ما يقطعُ قلبي مِن غابات وشجون

# أسبِلُ ذهَبكِ في العتمة

علي قادري

**أرضٌ بلون الحُزن**

حينَ تنفُثُ غيمةٌ
فوقَ شعرِكِ
يتبلّلُ قلبي.
الخَنجرُ الذي يجوسُ الأعماقَ
وينهشُ رحمَكِ
بالأسى والذّابح
تستغيثينَنا:
«لا تُغمِدْهُ فيّ».

**أرضٌ بلون التّأهّب**

تحملُكِ الرّيحُ
على أكفّ الحنطة
وتبذرُكِ
بعيداً،
قريباً
مِنْ سُعال الرّوح.
وظلُّكِ يتقلّصُ
فيّ.

**أرضٌ بكُحل الضّباع**

الشّعرُ مقلوباً كذلك،
حيثُ السّرُّ يُفشي الجسدَ
بالذّنوب والكرز،
والخطايا تجهشُ بتعثّر القلبِ
في انتحارِ الوقتِ
مِنْ زاويةِ الأفقِ
ذاتِها.

تخرجُ الأرضُ منَ المرآة
وتنتحرُ على الحائطِ
البارد
القلبُ يتبعُها
ويتلاشى الضّوءُ.

**زجاجُ الأيّام**

أفي كلّ هذا الببابِ
ما يطحنُ الأيّامَ
برَحى النّكران
وضَلال الخرَف؟
أرى الأرضَ
على قشرةِ السّماء الزّجاجيّة
انعكاساً
وفضاءً
داخلَ هذا الببابِ.

لا أبدو خائفًا
على أيّ حال:

**الولادةُ منْ خاصرة الأرض**

صخورُها،
شاماتُكِ النّافرة.

بحارُها،
ماؤُكِ الذي يسحقُ الولادة.
ترابُها،
معدنُكِ المنتحرِ على الرّخام
يعذّبُ أصابعي.

طيورُها
شجرُها
وردُها
ورقُها الذّابلُ،
جنّتُكِ في مرايا روحي
وفأسٌ مخلبيّةٌ على غُصنِ البَوْح
تقطعُ ما يقطعُ قلبي
مِنْ غاباتٍ وشجون.

والأرضُ في خاصرةِ الشّاعرِ
خواتمُ
وإجراسُ صمّاء
تسمعُ خفقانَ قلبِكِ.

**حين علّقتُ الهواء**

1
أقومُ بتطهيرٍ عرقيٍّ
للنّمل
وأطفالي يشهدون المجزرة.

2
كان النّملُ ينوحُ
على ضحاياه
ويكتبُ روايتَه!
3
نملكُ مهاراتٍ قتاليّةً
عالية
في قصفِ الذّباب.
4
أيّهما أصدق
حجرُ القرية
أم
حجرُ المدينة؟
5
على شجرة الخوخ
تولدُ الشّمسُ
ونهدها العالي.
6
اللّيمونةُ
تُلقّي مشاعرها كاملةً
قبل أن تتعفّن.
7
لمْ أكنْ أحتاج
أكثر من نُعاس الحديقة
لأحلم.
8
لمْ أرَ باباً يبكي،
لكنّي رأيتُ بابَكِ
يخسرُ المعركة.
9
ينظرُ الحقلُ إلى السّماء،
تُهديه
غيمةٌ.
10
السّلحفاة أسرعُ
من الشّعر،
لأنّ قوقعتها أخفّ.
11
حبلُ الغسيل
أصبح مكاناً صالحاً
لتعليقِ الهواء.

(شاعر من فلسطين)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

عمل لـ عناية البخاري

إطلالة

قراءةٌ وإنصافٌ من زمن آخر

# غداً سوف يفهمونني

هل الزمن هو الذي يدفع كتّاباً، مثلما فعل ستندال مع روايته «الأحمر والأسود»، إلى القول بأنّ القرّاء لن يفهموهم إلّا بعد مضيّ قرن؟

ممدوح عزام

كتب الروائي الفرنسي ستندال بعد صدور روايته «الأحمر والأسود» ببضع سنوات يقول: «في عام 1930، سوف أجد قرّاءً يفهمونني». ففي تلك السنوات التي صدرت فيها الرواية (عام 1830)، لم يلتفت أحدٌ إليها، ومن المعروف أنّ الروائي الفرنسي ظلّ مغموراً، بل ثمّة من ازدرى روايته من كبار النقّاد الفرنسيين في عصره (سانت بوف، على سبيل المثال).

هل هذا يقين يتضمّن شيئاً من التخمين والتنبّؤ، أم أمنية تأمل أن تتحقّق في المستقبل؟ لا نعرف، ولن يعرف الروائي الفرنسي أيضاً ما الذي حدث لروايته، وهو الذي كان متأكداً أنّه لن يعيش كي يرى مصيرها في ذلك العام الذي أشار إليه من القرن القادم. ولكنّ السؤال هو: كيف ومتى يستطيع الكاتب أن يتأكّد من أنّ الزمن سوف يُنصف أعماله؟ لم يجد ستندال قرّاءً يفهمونه في عام 1900، وحسب، بل وجد شهرة واهمية وضعتاه في مصاف كبار كتّاب الرواية في العالم كلّه.

وربّما يمكن الظّنّ أن المئات من الروائيين، الذين لا يجدون اليوم قرّاءً يرتضون بهم، أو لا يجدون القرّاء الذين يحلمون بوجودهم، أو لا تُطبع كتبهم بكثير من النسخ، إنّما يردّدون مثل هذه العبارة، بعد أن يزوّدوها بآمال ستندال التي حقّقها له الزمن، ويصبح بوسع أيّ كاتب مهمَل، وغير مقروء، أن يكتب اليوم عبارة تقول: «في عام 3021 سوف أجد قرّاء يفهمونني». هل المشكلة في الزمن؟ إذا ما كانت حالة ستندال مثالاً، فإنّ الزمن مسؤولٌ بالفعل عن وضع الروائي، إذ لم يمدحه أو يمدح روايته غيرُ بلزاك، ويبدو أنّ النقّاد والقرّاء لم يأبهوا برأي بلزاك أيضاً.

وقد مرّ خمسون عاماً على الرواية المهملة قبل أن تصبح من كلاسيكيات الرواية في العالم، على الرغم من أنّها لم تكن عن المستقبل، أي لم تكن عن عام 1930، ولا عن عام 1900، بل كانت عن الزمن الذي عاش فيه ستندال، وكانت تحكي عن شاب من ذلك الزمن، وعن آماله وطموحاته وفشله وجريمته في زمنها هي.

فلماذا أنصفها زمنٌ تالٍ؟ ومع ذلك، فإنّ قضية الزمن وإنصاف الزمن لا تزال غامضة ومن الصعب أن نضع لها أي معايير حاسمة.

وفي زماننا، مثلاً، كان بوسع الصحافة والسوق ووسائل الاتّصال أن تساعد في انتشار اسم الكاتب، وثمّة سوقٌ سياسية وأخرى حزبية أيضاً تساعدان الموالين أو أعضاء الحزب. وهناك من اشتهرت أسماؤهم دون أعمالهم، وهيمنوا على الحياة الثقافية في بلدٍ مثل سورية، بفضل الشهرة، لا القيمة الأدبية. ولكنّ غربال الزمن قدّم لهم خدمة معاكسة لما قدّمه لستندال، فما أن فهمهم القرّاء حتى زالت هيمنة أسمائهم من تاريخ الأدب.

كلا الأمرين يبدو حزيناً في شؤون الكتابة. فإذا ما عدنا إلى ستندال لنسأله إذا ما كان يفضّل أن يُقرَأ في زمنه أم في الزمن الذي يأتي من بعده، فإنّ خياره، كما أكاد أجزم، سوف يكون زمنه هو، إذ لا معنى لما يُكتب في وجدان الروائي إلّا إذا كان القارئ زميلاً له في الزمان.

(روائي من سورية)

لا معنى لما يكتبه الروائي إلّا إذا كان القارئ زميلاً في الزمان

عمل لـ جياكومو بالّا (1913)

فعاليات

يُفتتح، اليوم الجمعة، في «فضاء اكسيس للفن» بالقاهرة، معرض **النحت وسنينه** للفنان المصري **محمد عبلة**. يضمّ المعرض المستمرّ حتى الثالث عشر من الشهر الجاري ثمانين منحوتة ذات مضامين أسطورية انجزها عبلة خلال السنوات الثلاث الأخيرة باستخدام خامة البرونز، بعد انشغاله بالرسم لأكثر من أربعة عقود.

**دور المجتمع المحلّي في حفظ التراث** عنوان ندوة افتراضية تنظّمها «مكتبة قطر الوطنية» بالدوحة عند السادسة من مساء الاثنين المقبل، بمشاركة كلّ من **مريم المطوع**، و**هيا الدوسري**، و**عبد العزيز ابو هاشم ابو السيد**، و**عبد الله الغانم**. تتناول الندوة جهود الافراد والمؤسّسات في حفظ التراث الوثائقي، عبر استعراض تجارب المكتبات والمتاحف الخاصة والاقتناء الشخصي.

بعرض مسرحية **ذئاب منفردة** للمخرج **وليد الدغسني**، تُختتم، عند السابعة من مساء اليوم الجمعة، فعاليات «المهرجان الوطني لمسرح التجريب» الذي افتُتح في مدينة مدنين التونسية يوم السبت الماضي. يعالج العمل واقع الإنسان العربي المعاصر في ظلّ ما يعيشه من قمعٍ و تغريب سياسيَّيْن ومشاكل اجتماعية.

اطلقت «هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية» في مسقط، يوم الإثنين الماضي، **معرضاً افتراضياً للمخطوطات** على موقعها الالكتروني. يتضمّن المعرض خمساً وعشرين مخطوطة للقرآن الكريم وكتبَ تفسير وأُخرى في الفقه والسيرة والتاريخ والجغرافيا وعلوم البحار والفلك، يعود أقدمها الى القرن الثالث عشر الميلادي.